أعطى إحداهما إلى «مالكوس» مُوصِياً إيّاه بالانحناء فوق السياج وقرع الراح الخشب برأسها مُحْدِثاً أكبر قدر ممكن من الجَلَبة. وحضر طبّاخ الربّان للمعاونة رافعاً صينيّة من النحاس أخذ يقرعها بضربات من مِغْرَفة. وشارك الجميع شيئاً فشيئاً في العمل فغدت كل مساحة صنجاً يُقرع ويُضرب ويُنقر عليه فيما تتعالى الصيحات والتهليلات بقدْر متساوٍ من الحمِيَّة والرهبة. وبدا أن الصخب كان مُجدياً، فما هي إلا دقائق حتى لوحظت نافورة ماء على بُعْد زهاء ميل من مقدَّم السفينة. وكان الحوتان قد فرّا، ولن يُريا بعدُ أبداً.

كان الإعصار الذي برز في اليوم الثالث عند الغَسَق أشدَّ إقلاقاً. فلم تُرَ بادئ الأمر غير غيمة بيضاء أخذت تكبر وتنتفخ وتثخن دقيقة بعد دقيقة حتى أخذت تدوِّم أسرع فأسرع مُحاكيةً شكل قرن ضخم متأهّب للغوص في العُباب. ومع ذلك فقد حدث العكس فشرع البحر فجأة يغلي كالقدر في هذا الموضع بالتحديد، وارتفعت صفحة الماء، يا للمعجزة! وقد اجتذبتها الغيمة المدوِّمة وامتصّتها؛ وكان عمود أسود من الماء قد انتصب الآن وأخذ يتعالى ويتعالى وهو يئزّ، وكأنما البحر بأسره سوف يُسفَط إلى السماء.

وجمد الركّاب في أمكنتهم. والحقّ أن الظلمة قد ساعدت على إظهار الإعصار بصورة وحشٍ مُدمِّر، نوعٍ من تنّين ضخم مُعَلَّقٍ بين السماء والبحر، أكثر مما هو ظاهرة مائيّة عاديّة. وأصاب الرعب صانع السفينة نفسه فذهب إلى حقيبته وأخرج منها عِقداً مصنوعاً من قطع ذهبية ولفّه حول عنقه. وأخرج بحّار شاب خنجراً مشحوذاً من غمده وسدّده إلى نحره وكأنه لا ينتظر سوى إشارة لقتل نفسه. وسجد «پاتيغ» من جديد واستأنف صلواته.

لم ينم أحد تلك الليلة، فالجميع يُصيخون السمع ويرقبون الأفق بلا كَلَل للتأكّد ممّا إذا كان الخطر يقترب. رجلان، رجلان فقط ظلاّ بمعزل عن كل ذُعر. الربّان أوّلاً، وهو بحّار عجوز من (شاراكس). وإذا كان قد أمر بالضجيج لإبعاد الحوتين فقد اكتفى لدى ظهور الإعصار بلمّ الأشرعة، فماذا